

والانفتاح على الآخرين؛ هذا النهج الذي نلمسه في الافكار التي تقدم بها الحزب الشيوعي الفلسطيني، تلتقي مع الافكار الموجودة لدينا»^(١٠١).

الحزب الشيوعي الفلسطيني

كان الحزب الشيوعي الفلسطيني أشدّ قوى اليسار الفلسطيني تأثراً بالبيريسترويكا. ففي اجماع آثار الاستغراب، تبنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي مشروع برنامج سياسياً ونظاماً داخلياً جديدين، اعتبراً انقلاباً على الخط الفكري - السياسي - التنظيمي القديم للحزب. وقام الحزب بطرح المشروعين على أعضاء الحزب وقوى اليسار الفلسطيني الاخرى لمناقشتها وتحديد موقف منهما. ولعلّ مصدر الاستغراب ان يكون هذا الانقلاب قد تمّ بالاجماع على يد اللجنة المركزية التي ظلت، حتى وقت قريب، ترفع راية منظومة فكرية وايدولوجية وسياسية وتنظيمية مختلفة، من دون ان نسمع عن صراع، أو اعتراضات، أو تحفظات، ومن دون ان يطرأ، كنتيجة منطقية لهذا التغيير، أي تعديل على قوام الهيئة القيادية في الحزب.

لم تقل قيادة الحزب لماذا قامت بهذا التغيير، وأن كان ذلك معروفاً؟ كما انها لم تشرح لماذا أُجريت التغييرات بهذه الصورة، وعلى هذا النحو؟ ولعلها أرادت ان تترك معظم القضايا التي شملها التغيير للنقاش، وهو منطقي يبدو مقبولاً للامور، حيث يوضع الناس أمام النتائج النهائية للتغيير، من دون ان يعرف احد شيئاً عن وجهة النظر التي تقف وراء كل قضية من القضايا التي شملها التغيير. فعلى سبيل المثال، لا الحصر: لماذا «حزب كل الفلسطينيين» وليس «حزب الطبقة العاملة الفلسطينية»، كما هو موجود في برنامج الحزب المقرّ في مؤتمر الحزب (١٩٨٤).

الشيء الآخر اللافت هو ان مشروعاً الوثيقتين (البرنامج السياسي والنظام الداخلي) خليا من أي مراجعة لمسيرة الحزب السابقة، وكان مشروعاً الوثيقتين الجديدين يشكّلان امتداداً، وليس انقلاباً، للخط القديم. ولا شك في ان غياب هذه المراجعة من شأنها ان تفتح شهية «المتنّدين» للقول، مجدداً، «انها أمطرت في موسكو، فرجع الشيوعيون، في بلادنا، مظالمهم». مهما يكن من أمر، فان الوثيقتين عبّرتا عن درجة عالية من التأثير بالبيريسترويكا، لم تفلح قوى اليسار الاخرى في بلوغها. واعتقد البعض بأن السبب الرئيس في ذلك يعود الى تحرّر الحزب من الاجهزة العسكرية، والامنية، والمالية، والاعلامية، التي «تضخمت واستشرى وجودها» في تنظيمات اليسار الاخرى، وأصبحت «عائقاً أمام أي تغيير ديمقراطي»؛ «لذا، فان القوى المضادة للتغيير لم تكن واسعة الحجم لديه (الحزب الشيوعي)؛ ولم تكن مصالحها من الضخامة بحيث تستلحم للدفاع، وهكذا هبّت رياح التغيير عليه، فاستقبلها بأقل ما يمكن من الخسائر»^(١٠٢).

والآن ما هي التغييرات الرئيسة التي احتوتها الوثيقتان، البرنامج السياسي والنظام الداخلي؟

أولاً - البرنامج السياسي

جاءت الكلمات الاولى، التي لا تتجاوز الثلاثة أسطر، في البرنامج السياسي أكثر تعبيرات التغيير أهمية وجرأة. ففي تعريف الحزب، أورد البرنامج: «الحزب الشيوعي الفلسطيني هو حزب الفلسطينيين، رجالاً ونساء، والطامحين للتحرر والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاشتراكية المنسجمة مع خصائص الواقع الفلسطيني»^(١٠٣). ان تعريف الحزب بأنه «حزب الفلسطينيين» الذين هم، بالضرورة، رجال ونساء، لا يدع مجالاً للشك في ان الحزب تخلّى